هانى أبو مصطفى

الإلـــه تـَـابـُـو

أشـعـــار

صدرت الطبعة الأولى فى ديسمبر 2018

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : الإله تابو

المؤلِّف : هانى أبو مصطفى

التصنيف : أشعار

رقم الإيداع : 2018-22850

عدد الصفحات : 122 صفحة

رقم الإصدار الداخلي: 301 (الطبعة الأولى ديسمبر 2018)

الإخراج الفنى : الشاعر محمد الساعى



الإهــداء

إلى الطّائِرِ الذي

لا يَعْلمُ بأمْرهِ أحَدُ ! سوى شَجَرَةِ

الفَصْلِ الخامسِ والإله تابُو

هانـى أبو مصطفى

نازحٌ بلا مأوى

أنا سأمضي بعيداً يا موازيني

تَعِبْتُ من حَرْبِ موسى والفراعينِ

لاحَظْتُ سيّدَ قومٍ كان يَشْبَهُنِي

ما حالفَ الحظُّ يا قومي قوانيني

مِنْ كفّهِ سقَطَ الماعونُ فانكسرت

مدامعي كيف لو بُعْثِرْتُ تُحييني

لاحظتُ شخصين كانا يَنْشُرَانِ دمي

وكُنْتُ أحْمِلُ في كَفّيّ تأبيني

لكنّهُ كان مفقوداً كما ذكروا

هذا التّصَرّفُ يا ويلاهُ يهجوني

شَخِيْرُهُمْ كان قبلَ النَّومِ يُزْعِجُنِي

وها أنا الآنَ خصمٌ للزنازينِ

في آخرِ الأمرِ قد ينتابُني فَرَحٌ

أو أنْ أُقدّمَ حلّاً ليسَ يُرْضيني

لن أبحثَ اليوم عن تأويلِ ما فعلوا

ولن أُدَقّقَ في معنى النّياشينِ

هو الوحيدُ الذي ما زلتُ أكْرَهُهُ

وقد أُجَازِفُ في كُرْهِ السّلاطينِ

هل أنّ أوّلَ نُقّادي يُجَامِلُني

أم أنّ آخرَ نُقّادي سَيَهْدِيني

في كُلِّ لحظةِ بؤسٍ توجدُ امرأةٌ

يُوحى إليها بتنظيفِ المواعينِ

فللمواعينِ أسرارٌ إذا ظهرت

تقاسمَ الطُّعْمَ أحفادُ الملاعينِ

كتبتُ عن ليلةٍ ما في دواخلِها

شيءٌ يدلُّ على بعضِ العناوينِ

وكُنْتُ كالبائعِ المسكين لا أحَدٌ

منّي اشترى فأهانتني دكاكيني

وكُنْتُ كالرّجُلِ الفَلّاحِ أزرعُ ما

عندي وأحسِبُ أغنامَ المساكينِ

أخشى عليها من الأشباهِ في بلدي

أغنامُنا تحت إشرافِ السّراحينِ

صنائعي تبلغُ الخمسينَ يخدعُها

حُلْمٌ على كُلّ حالٍ سوف يطويني

وكُلّمَا استيقظتْ أُمّيْ لِتُطْعِمَني

فَوَجْبَةُ الصُّبحِ ما عادت تُرَقّيني

قالت أتعلمُ كم عانيتُ يا ولدي

فلستُ أرغبُ في شخصٍ يُحاكيني

وكم تَوَحّمْتُ كي تأتي أيومَ أتى

هذا المُغَرّرُ بالأحلامِ يرميني

لهُ زغاريدُ أُنثى كلما رقَصَتْ

لِزَوْجِهَا جَرّبَتْ كُلَّ الفساتينِ

وفيهِ شهوةُ عرّيسٍ بِدُخْلَتهِ

غَفَا وأعْرَضَ عن فَضِّ البساتينِ

أرَادَ للماءِ أن يجري بلا وَجَعٍ

فقرّرَ الماءُ إخْلاءَ الدّرابينِ

سيغرقونَ بلا جدوى وكَيْفَ لَهُمْ

أن لا يكونوا من الغرقى المطاعينِ

هذا الصَّبيُّ قليلونَ الذين بهِ

اهتمّوا وأغْرَتْهُ أوْهَامُ المجانينِ

مِنْ كفّهِ سقطَ الكأسُ الأخيرُ إذن

في عثرةِ الكأسِ إقصاءُ الدّهاقينِ

مشى إلى حيثُ لا يدري فَأخْبَرَهُ

رَحِيلهُ عن مُعاناةِ الرّياحينِ

وعندما عَادَ كانوا في مناصبِهم

للنّارِ ثأرٌ مِنَ الماضي على الطّينِ

فأطْرِقِ الرّأسَ دونَ البابِ يا وطني

إني وقد عُدتُ ماذا سوف تُعطيني

أُمّاهُ يا صورةَ التاريخِ لا تَهنِي

ولا تخافي هوَ التاريخُ عُرْجُوْنِي

لن يذهبَ القَمْحُ عن كفِّ الفقيرِ ولن

يُحالَ عن يوُسفٍ عَدْلُ الطّواحينِ

لأنّ يعقوبَ لا يبكي بلا سَبَبٍ

وكيف يبكي نبيٌّ في الثّمانينِ

وكيف يُعْزَلُ عن شعبٍ يَفِرُّ لهُ

خوفاً من الفَقْرِ لا مِنْ مالِ قارونِ

الأدعياءُ مرايا في مواقِعِهم

رأيتُ دمعي وأمالاً سَتَغْزُوْنِي

وجاءني واحدٌ مِنْهُمْ وفي يدهِ

خُبْزٌ على شكلِ أُنثى باتَ يُغريني

فَقُلْتُ أبْعِدْهُ عن بطني أنا قَلِقٌ

ما زلتُ طفلاً وأحلامي تُساقيني

لم أفهمِ الرّبَّ إكراهاً لِتَفْرِضَهُ

صلاةُ محرابِكَ العمياءُ تُخزيني

كانت فناجينُ أهليْ حين يَقْصُدُهُمْ

ضَيْفٌ تُغَنّي على طَوْرِ الأفانينِ

وها هيَ الآنَ في بيتي مُعَطّلَةٌ

مَنْ أبعدَ الطّوْرَ عن تلكَ الفناجينِ

وأين إبريقُ ساقي الماءِ ما بَرِحَتْ

يدٌ قد اعتادَ ساقيها يُرَوّيني

تَفَرّقَتْ أُغنياتي فوقَ حِنْجَرَتي

وَبُحّ صوتي ولم تَحْكُمْ سلاطيني

وغَرّنِي أنّني منها وأنّ بها

قبريْ وفيها مواريثي وتدويني

حتّى تفاجأت ما هذا يُلائمُنِي

وما بتلكَ قد استوثقتُ تكويني

أنا كهارون كان العِجْلُ تُهْمَتُهُ

عُذْرَاً سأسألُ هذا العِجْلَ هارُوْني

يا أيها العِجْلُ مَنْ آذَاكَ في وطني

يا صاحبَ الفَضْلِ في كَشْفِ الشّياطينِ

كُنّا نلوذُ بقُرءانٍ يُخَلّصُنَا

يا محنتي الآنَ في عصرِ القرائينِ

أمشي وما عُدتُ أدري مَنْ سيقتُلُني

عشيرتي أصدقائي أخوتي ديني

قد كان ليْ في زمانٍ قد مضى وطَنٌ

وكُلّما ضِعْتُ عن دربي يُدَلّيني

أغاثني بمصابيحٍ أُعَلّقُهَا

على جداري وأشيائي تُناغيني

جريمةُ البحرِ لم يقرأْ لساحلهِ

حكايةَ الرّيحِ فاغتيلتْ براهيني

وبعد أن أبلغوني أنّهم سرقوا

كنزي رميتُ على موسى حياطيني

خَرْقُ السّفينةِ لم ينفعْ أتى مَلِكٌ

أعمى وألفُ غُلامٍ عادَ يؤذيني

المدينةُ الفاصلة

تضايقتْ من صغيرٍ أرْهَقَ السّحَرَا

ولم تكُنْ تُدرِكُ الألغازَ والعِبَرَا

أنا وأُستاذتي والكأسُ ثالثُنا

ودَرْسُها والحكايا نَكْرَهُ القَدَرَا

جَرّتْ قميصيَ فاستحسنتُ مَوْقِفَها

وسرّني أن أخوضَ الموقفَ الخَطِرَا

خُذْ كأسكَ الآنَ واستخبرْ حَقِيْقَتَهُ

ولا تخفْ منهُ قد لا يُمْعِنُ الخَبَرَا

سألتُهُ كيف لا يمشي وقد كَبُرَا

وكيف قرّرَ أن لا يَرْسُمَ القَمَرَا

سألتُهُ عن قضيبٍ كان مُنْتَصِبَاً

فأنزلوهُ وما أبقوا لهُ غَجَرَا

سألتُهُ عن نُخَيْلاتٍ بقريتِنا

وعن محاصيل زرعٍ تُعجبُ الأُمَرَا

عن طائرٍ أعجبَ الصّيادَ في بلدي

فقال لي وهوَ يبكي أطلقْ الحَجَرَا

هوَ الذي لا يُغنّي في حديقتهِ

إلا وزادتهُ من ألوانِها وَتَرَا

رعى الفَسَائِلَ كي تُعْطيهِ ضِحْكَتَها

فألبستهُ قميصاً يَشْبَهُ الثّمَرَا

يا ابنَ السّحَابةِ لم تُتْعِبْ على يَدِها

طفلاً يتيماً ولم تَفْطِمْ بهِ المَطَرَا

مَنْ ذلك البوحُ لا أدري أنا قَلِقٌ

عليّ فالبوحُ لا يَسْتَعْظِمُ الخَطَرَا

لو قيلَ لي كُنْ نبيّاً واقترحْ وطناً

وارفعْ شعارَك وادفعْ عنهم الضّرَرَا

قبلتُ ذلكَ لا دِيْنٌ سأنْشُرُهُ

ولن أُحَارِبَ في توزيعهِ بَشَرَا

ولن أُحَاسِبَ شعباً مُنذُ وَهْلَتِهِ

الأُولى وما زال مظلوماً ومُحْتَقَرَا

سألتُهُ عن ليالينا وغُرْبَتِنَا

عن شهوةِ المرأةِ الحسناءِ فانْحَسَرَا

لا تُغْلِقِ البابَ خلفَ البابِ أُغْنِيَةٌ

إنّ الأمانيْ جميلاتٌ لِمَنْ نَظَرَا

وحاول الآن أن تمشي مُكَابَرَةً

لتُقْنِعَ الرّيحَ أنَّ العاشقَ انْتَصَرَا

وبعد أن جاء موسى أخْرَجَتْ يَدَها

فأخرجَ الدّلوَ موسى كان مُنْتَظِرَا

أبي سيُنْكِحُكَ المعنى لِتَخْدِمَهُ

فاخترْ مِنَ الآن معنىً يخدمُ الفُقَرَا

أنا وأُستاذتي كُنّا نقولُ لهُ

بلادُنا تذبحُ العُشّاقَ والسُّفَرَا

لكنهُ واكبَ التاريخَ طالبَهُ

أن يُطْلِقَ الحبلَ للأحرارِ فاعْتَذَرَا

مشى على رُكبتيهِ الآنَ وانْكَسَرَا

وظلّ يمشي ولكنْ عاتبَ الشّجَرَا

وعاين الماءَ فاشْتَدّتْ غريزتُهُ

وأبعدَ الضوءَ عن عينيهِ والأثَرَا

تَضَايَقَتْ عندما صارحتُها بفمي

لامستُها فهيَ كالظُّلْمِ الذي انتشرَا

أُستاذتي إنّ للتلميذِ أسئلةً

لم يُفصحِ الكأسُ عمّا فيهِ واختصرَا

قالت خُذ الدّرسَ ما في أرضِنا أحدٌ

يُجيدُ حُزْنَكَ واجعلْ أرْضَكَ السّفَرَا

سافرتُ فاحتجتُ رؤياها تُعلّمُني

أنّ المسافاتِ جيلٌ يسكنُ الحُفَرَا

وَكُلّمَا كنتُ وحدي ريشتي سألتْ

هل سوف تُبعدُ عن ألواحِك النُّظَرَا

تشابهَ البقرُ الملعونُ في وطني

ماذا سيصنعُ من لا يَعْقِرُ البَقَرَا

قالت يُحِيلُ على أحلامهِ الشّرَرَا

ويمسحُ الأرضَ يستشري بها السَّمَرَا

ويقتفي عَثَرةَ التاريخِ يسألُهُ

عن حنطةٍ لا تُهينُ الإخْوَةَ العَشَرَا

عن أُغنياتِ نبيٍّ أرسلوهُ إلى

شعبٍ يُحَدّثُ عن قُمصانهِ البَصَرَا

وحين أسرفتُ في قولي هيَ اعترفت

بأنَّ مَنْ كَفَّرَ الحاناتِ قد كَفَرَا

فقلتُ هل يكتبُ الطبشورُ قصَّتَهُ

أثناءَ قولي بكى الطبشورُ وانْفَجَرَا

فجسمُ سبُّورتي مازال يُبْعِدُها

عنّي وحاولَ أن لا أُخْرِجَ الصُّوَرَا

دعني أُداعبُ نهديها وأحضُنُها

فهيَ الزّعيمُ الذي لم يقتلِ الوُزَرَا

وهيَ الأصابعُ فوق البابِ كم دفعت

شرّاً ولم ينفعِ الحُسّادُ ما صَدَرَا

وحينما سلّمتني نَفْسَهَا قَلَمَاً

كتبتُ عن دمِ عُرْسٍ لم يُرَقْ هَدَرَا

أُستاذتي في بلادي أصلُ مُشكلتي

أني على حُلُمٍ أعمى فكيف أرى

وأنّ خلفي مطاعيناً وليس لهم

إلا عزيمةُ فلّاحٍ قد احتُكِرَا

مَنْ قال في الليلِ يا جيشَ الجرادِ بأنْ

فلّاحُ أُغنيةِ الأوطانِ قد حضرَا

سأسكُنُ الآنَ في الصفّ الأخيرِ وما

عندي سوى الخاتمِ الأصلي فانْفَطَرَا

صانعُ التوت !

في أوّلِ السّوقِ انْتَصَبْتَ نبيلا

وبآخرِ السّوقِ انْحَنَيتَ عليلا

مِنْ خلفِ

بابٍ مُغْلَقٍ قد لوّحُوا

وتناولوا طَرَفَ الحديثِ قليلا

قالوا لحارسهِ استرحْ كي لا يرى

جَسَدَ ابنِ سيّدهِ الأميرِ قتيلا

لم يُسمعوهُ كلامَهُم وتشاورا

فأحسّ أمراً لم يكن مَعْقُوْلا

كانوا يودّون اللّحاقَ فأخفقت

آراؤهم وتبادلوا التأويلا

تعبوا مِن الحيلِ الجميلةِ هكذا

ظنّوا ولمّا يُدركوا التّنكيلا

والفجأةُ الكُبرى تبيّن لاحقاً

أنّ الذي قتلوهُ كان فتيلا

نارٌ على الشُّباكِ تلذعُ عابراً

لا تَعْبِروا لن تفقهوا التّبجيلا

فالحارسُ الطّفْلُ الوحيدُ مُحَمّلٌ

بالآهِ يرسمُ للصّغارِ خُيولا

لم يرضعِ الثّدْيَ الرّصينَ ولم ينم

إلا ولَمْلَمَ شارعاً مَسْلولا

حتى الذين حكى لهم عن جُرحهِ

طعنوهُ حين تَسَنَّمَ التّرتيلا

مُنذُ ابتداءِ الصّيفِ حاول جاهداً

وسعى وقرّرَ أن يصوغَ سبيلا

وطنٌ بحجمِ الكونِ أيُّ مسافةٍ

يبنونَ وهوَ يُزاولُ التّنزيلا

أنا مثلُ امرأةٍ تغصُّ بِحَمْلِها

السّريّ كانت مَطْمَعَاً منقولا

لم تستطعْ تركَ الحرامِ لعلّها

لو مارستْ تَسْتصْغِرُ التّذليلا

ولقد عرفتُ بأنَّ نُقْطَةَ ضَعْفِها

تتوارثُ الأشواقَ والتقبيلا

الآن هُمْ عرفوا حكايةَ ذلكَ البوّابِ

أظهرَ لُغْزَهُ المجهولا

قابيلُ لم يذبحْ أخاهُ - خديعةٌ

هذي فَحَقّ أنْ اذبحوا هابيلا

وابنُ الأميرِ على وسادةِ أُمّهِ

مازال يضحكُ شامتاً وخَتَوُلا

بل كُلُّ أبنـاءِ الأميرِ على خُطىً

وتقاسموا خَطَوَاتِهم والفيلا

جاؤوا عِشاءً يضحكون وبعد أن

وصلوا أحالوا المُفْرَدَاتِ عَوِيْلا

هذا الأبُ المسكينُ لم يأبهْ بهم

وأرادَ شيئاً آخراً وكفيلا

الذئبُ أوّلُ خائنٍ يا والدي

لَزِمَ السّكوتَ وهادنَ التضليلا

وقميصُك السّحريُّ كيف رَضِيتَهُ

بِدَمٍ تبنَّى كِذْبَةً وبديلا

العاهرُ انتفضتْ أمامَ إهانـةٍ

وترى اختلافَ - زمانِها – المسؤولا

بيَ شهوةٌ فوق الملوكِ فسيلـةٌ

قِيَمِي وأرغبُ أن أموتَ بَتُوْلا

بعضُ النّساءِ جَلَبْتُهُنّ بدائلاً

عنّي لماذا تشتهي - أورسولا

هم يدّعون نبوءةً مفتولةً

أنا لا أُريدُ نبيّك المفتُولا

أنا لم أذُقْ للآنَ تَمْرَةَ حُسْنهِ ،

وكلامهُ المرقوعَ والمعسولا

البابُ يشهدُ أنهم ونساءهم

حجبوا الرّياحَ عن الدخولِ طويلا

سيجيئُ والدُهُ الذي في دارهِ

ويُصادفونَ الكاذبَ الضّليلا

هذا الذي في البابِ ليس عدوّكم

بل كان مُنْتَظِراً لكم ودليلا

مَن هيّأ المفتاحَ لا تتعجّلوا

رَجُلاً مِنَ الزّمنِ القديمِ عميلا

وأباً ضريراً حاولت أحلامُهُ

أن تستُرَ الفانوسَ والمنديلا

ستُفاجأون بيوسفٍ هذا الذي

عاينتموهُ مُقَنّعَاً مشكولا

جاءت بلُعبتهِ الظنونُ لِكَسْبِكُمْ

ورَمَتْهُ قبل مَجِيئكم ليقولا

ليُزيلَ عنكم رِيحَكم كي تُكْشَفوا

للنّاسِ فاقتسموا الصُّعودَ نزولا

بلدٌ بأعلى الشّمسِ كان بَرِيقُهُ

والآنَ يلحسُ كَفّهُ المغلولا

الملك العراقي الجديد !

بعد 2003

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ مُغَفّلِ

يظنُّ بأني عاشقٌ في توسَّلي

على مَن سأبكي يا صديقي وكُلُّهُم

يُريدون قتلي هل رَضِيْتَ بمقتلي

وعن أيّ حُبٍّ واحترامٍ وقيمةٍ

وما زالت الأحلامُ تغلي وتصطلي

وعن أيّ بوحٍ تسألُ اليوم هل ترى

وما عاد بوحٌ صادقٌ كي تقولَ لي

تجمّلْتَ لكن خَانَكَ الصَّبرُ غِيْلَةً

وقد خاف مني الصبرُ فاقصُدْ تجمُّلي

أحدّثتَ كُلَّ الناسِ عنـها ولم تخفْ

لقد كُنْتَ في هذا كثيرَ التّحمُّلِ

ولو كُنْتَ موجوداً وعاينتَ حالَنا

لمَا قُلْتَ شِعْراً في دخولٍ وحوملِ

وقد غارتِ الأيامُ والدارُ والرؤى

لِذَا صارت الدنيا على رأسِ مغْزَلِ

فلا الشّعرُ يحكي قصّةَ الأرضِ والعُلا

ولا النّوقُ تُسقى الماء بعدَ التّذلُّلِ

وما عادت الأخلاقُ ميزانَ مجدِنا

ولا السّيفُ في كفّ الـهُمامِ المُبجّلِ

بل السّيفُ للجُدرانِ أمسى مُعَلّقاً

وأمسى بريقُ الخوفِ دِرْعَ المُحَجّلِ

وكم جارت الأقدارُ حتى تجبّرت

ونـحنُ الضّحايا تائـهين بلا ولي

لحُكَّامِنا جَورٌ علينا مُكثّفٌ

يزجّوننا للعارِ زَجَّ المُسَلْسَلِ

وهم يركبُون الخيلَ زُوْرَاً وخِدْعَةً

وما جرَّبوها في ركوبِ المُهلْهَلِ

وأشياخُنا يروون عنكم بُطولةً

وهم أتفهُ الرائين حين التَّمَثُّلِ

لقد صيّروا البُلدانَ سبعينَ فِرْقَةً

حديثٌ لديهم عن رسولٍ مُكلَّلِ

وهل طبَّقوا الإسلامَ في سورةِ الضُّحى

بعيدٌ عن الإسلامِ دينُ التّسلُّلِ

ولن تفهمَ القُرآنَ شاهتْ عُقولُهُمْ

بعيدون ما هذا طريقُ التّعَقُّلِ

لقد فرّقوا الإخوانَ والأهلَ وانتهى

زمانُ البعيرِ الحُرّ والفخرِ والحُلي

وصِرْنَا بأفكارٍ فجهلٌ يقودُنا

وتغتالُنا الأحداثُ من دون مَوْئلِ

عصاباتُ أهواءٍ ومنحى جريمةٍ

ولم تُكْشَفِ الأخبارُ إلا بمَنْدَلِ

و يا أُمنياتِ العُرْبِ باتت كسيرةً

بأحداثِ تاريخٍ قبيحٍ ومُخْجِلِ

ولم تُكشف الأخبارُ إلا بنقمةٍ

لمن يا بلادَ العُرْبِ ذاتِ التّمَنْدُلِ

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ مُعَطّلِ

توجّعتُ من بلوى حبيبٍ مُعَطّلِ

تأكّدْ صديقي أنَّ معنى عُنَيْزَةٍ

عقيمٌ وبيتُ الطِّينِ رَهْنُ التَّحُوّلِ

تحوّلَ ذاكَ الرّسْمُ سرداً مُشوّهَاً

وحالت بهِ الويلاتُ بعد التّدَلُّلِ

خلعنا جذورَ النّخلِ أثناءَ زهوهِ

نُفضّلُ بعدَ النّخلِ زَرْعَ القُرُنفلِ

حُسدنا كثيراً هكذا البعضُ قالها

علاما حُسدنا وضّحْ السرَّ وافعلِ

أعرني قليلاً كي أًصلّي بمُفردي

صلاةَ الحيارى في الزّمانِ المُفضّلِ

وخُذ خُبْزَ أُمّيْ واستعذْ من دموعِها

حنينَ الغوانيْ إنّهُ لم يُسَجَّلِ

لنا في جميعِ الأرضِ مأوىً ومنزلٌ

ولكن بلا مأوىً بَقِيْنَا ومَنْزِلِ

عُنيزةُ ما عادت كما قيل أنّها

(مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ) مثلُ السّجَنْجَلِ

وما دام ذاك الحُسْنُ قد زال كُلَّهُ

إزاءَ الذي لاقتهُ عندَ التّرَحُّلِ

عُنيزةُ هينت وهيَ للآنَ باكرٌ

لأنَّكَ مفقودُ الضميرِ المُعَوّلِ

وليس لهُ منّا سوى بعضِ حظوةٍ

لعلَّ لنا فيها بلوغَ التّأمُّلِ

نسينا حُروبَ الأمسِ فالحربُ غِنْوَةٌ

نُخيفُ بها الأطفالَ في كلِ مَحْفَلِ

ولمَّا غُزينا مِنْ عدوٍّ مُجاورٍ

جعلنا لهُ التاريخَ قيدَ التّقَبُّلِ

وقلنا لهُ خُذ هاك نفطاً نبيعُهُ

لكي نشتري بالمالِ كاساتِ حَنْظَلِ

وكي نُقنعَ الأجيالَ أن يقبلوا الأسى

وأن يستسيغوا الصّمتَ حين التّكتُّلِ

وليلٍ كموجِ البحرِ لا بحرَ عندَنا

ولا موجَ إلا موجُ قتلٍ مُمَوّلِ

وأيٌّ سدولٍ في زمانٍ بهِ الفتى

ذليلٌ على ذكرى الصّريعِ المُجَنْدَلِ

ألا رُبَّ بوحٍ صادقٍ في مَغَبَّةٍ

شديدِ التّمني في الحكاياتِ - أعْزَلِ

سيبقى عزيزاً رَغْمَ خوفٍ يمسُّهُ

ويحيى على أحلامهِ والتّنَقُلِ

و يا لمرئ القيسِ الذي لا أُحبُّهُ

على هيأةٍ مهما تَكُنْ فيهِ تَذْبُلِ

أغرّكَ منها أنها من بلادِنا

وأنّكَ ذو مُلْكٍ بِحُكْمٍ مُكلّلِ

وأنك في القولِ الذي قُلتَهُ لنا

وقد راحَ ما عبّرتَ يا أنتَ فاعْقلِ

نسيناك والأنثى التي مُتَّ عاشقاً

لها فاخترْ الإحباطَ بعدَ التنمُّلِ

وأرسل إلينا أن أزيلوا قصيدتي

وأبدلْ مديحاً بالهجاءِ المُفَتّلِ

عُنيزةُ أكْرِمْها بإخفاءِ إسمها

فما نحنُ إلا أُمّةٌ في التّحَوُّلِ

أقلني صديقي ربما كنتُ قاسياً

على ذكرياتٍ لم نصُنْها بمَحْمَلِ

أنا لم أقُلْ ما في ضميري جميعُهُ

وما قلتُ إلا بعضَ قولي المُفَضّلِ

وإني حزينٌ كم شريفٍ تساقطت

جراحاتُهُ تحت الوشاحِ المُكبَّلِ

سلامٌ على القُدسِ الأسيرةِ إنها

بدايةُ هذا الجُرحِ في تلك نبتلي

ومِن بعدها صِرْنَا على ألفِ مذهبٍ

وما بيننا حربُ انتصارِ التّطفُّلِ

وقد مات فينا الحُبُّ ما في قلوبنا

سوى الكُرهِ هذا ما رأينا وما يلي

سلامٌ على الخصمِ الزّعيمِ بأرضِنا

ومُسْتَنْبِطِ الفتوى الوكيلِ المُخَوّلِ

على الحاكمين الناسِ ظُلماً وقسوةً

لإرضاءِ اسرائيل إرضاءَ مُجْزِلِ

لدينا رجالٌ لا يهابون خَصْمَهم

ولم يُتْقِنُوا في الحربِ غيرَ التّبتُّلِ

يُجيزون خوضَ الحربِ لكن جميعُهُم

يُقيمون في المحرابِ لا في التّرجُّلِ

ولو أنهم كانوا من الدّينِ في هُدىً

لأُرْسِلَ فيهم مَن يكونُ كما علي

قفا نبكِ من ذكرى جراحٍ تُهينُنا

ولا بأسَ أن نبكي بُكاءَ التّخيُّلِ

وإن قيل مَن هذا الذي سبَّ مجدَنا

ومالي أسبُّ المجدَ فالمجدُ منهلي

ولي من بلادِ الرافدين حكايةٌ

إذا كُنْتَ في شكٍّ خُذْ الجدَّ واسألِ

مِن البصرةِ الفيحاءِ قد سار مركبي

وأفصحتُ عن عشقي الرّهينِ المُكبَّلِ

وعن صاحبي كي يفهمَ الواقعَ الذي

تبدَّل من بعدِ الهُدى والتَّرهُّلِ

كأني غريبٌ في بلادي وهاربٌ

إلى حيثُ لا أدري ولا شيءَ ظلّ لي

صوتُ الدراويش

في آخرِ الفجرِ عُذراً يا عصافيري

مالي سوى الصّمتِ مُذ قيلتْ مشاويري

صوتُ الدراويشِ هذا الرّمزُ أعجبني

أنا سأقرأُ مجبوراً تفاسيري

ما كُنْتُ أبحثُ عن ليلى لأعشقَها

ولمِ يكن في حساباتي تعابيري

حتى وجدتُ على نصفِ الطريقِ يداً

كانت تُشيرُ إلى بعضِ التفاسيرِ

ومُنذُ عشرين عاماً وهيَ في رئتي

كالنّارِ تسعى إلى قتلي وتدميري

وخِلْتُ عهداً على قلبي بأنَّ لها

كلَّ التقارير وازدادت تقاريري

ودائماً يُبعدون الماءَ عن شفتي

ولا يُراعون أحلامي وتفسيري

قالوا إذا غرّدَ الدرويشُ فاعتزلوا

عن بوحهِ فكثيراتٌ محاذيري

لم أزرعِ الكُرْهَ كان الحُبُّ مزرعتي

وكُلّمَا طال عُمْرِي خفَّ ناعوري

شربتُ من قطراتِ البحرِ فامتلأت

خزائني واكتفى بالبحرِ سكَّيري

وكم تجلَّيتُ للأشجارِ أُغنيةً

ورُحتُ أنشرُ آلافَ المناشيرِ

في ساعةِ الدّفِ أنسى كُلَّ أسئلتي

أمشي على النّارِ أو فوق المساميرِ

نارُ بقلبي ووخزٌ بين أوردتي

تفوقُ ما قلتُ بل فاقت تدابيري

وما تبرَّمتُ من تهميشِ فلسفتي

بين الميادين آمالي جماهيري

(ديني لنفسي)

أخي الحلّاج أنشدها

باكورتي فوق أعناقِ البواكيرِ

وفي بلادي عراقيٌّ هوايَ وإن

أخفوا مزاميرَ أشعاري وتنظيري

الحربُ في العشقِ أحلى ما نُمارِسُهُ

فاذهب إلى الحربِ واستخبر قواريري

قلمٌ حر

أنا لا أُريدُ الأرضَ والتهجيرا

والبوحَ والشعراءَ والتقصيرا

أنا لا أُحِبُّ نهايةً في ختمها

قَلَمٌ يكونُ مُسيَّرَاً وأجيرا

قلمٌ يُغازلُ حاكماً في شعبهِ

طفلٌ ينامُ على التُرابِ كسيرا

ماذا سأكتبُ عن فمٍ مُتخاذلٍ

مازال يطعنهُ السّكُوتُ كثيرا

مازال يقبلُ أن يُمرَّغَ وجهُهُ

بالخوفِ أنهى عمرهُ مذعورا

وكتبتُ عن بلدي فصرتُ ضحيّةَ

الإقصاءِ تُطعمُني الحياةُ نُفُورا

ولأنها أُمّي دفعتُ مشاعري

ثمنَ الأنين وعشتُها مَحْسُورا

الأمُ بيعت والمُهنَّدُ غافلٌ

والهندُ تقطرُ مِبْسَمَاً مقهورا

تلك المعاركُ قد تعودُ وربما

لو أنها عادت تعودُ هجيرا

ماذا جنى التاريخُ من أبطالهِ

ولعلّهُ لمّا يكُن مذكورا

أنا لا أُريدُ شجاعةً من فضَّةٍ

ذهباً أُريدُ ولا أُعبَّرُ زُوْرَا

كان الشجاعُ إذا استدار عن الحمى

سهواً يُفضَّلُ أن يموتَ أسيرا

خجلاً يُفضَّلُ كي يظلَّ لوحدهِ

أو أن يعيشَ مُكبَّلاً معذورا

تلك الرجالُ - كرامةً وجدارةً

كانت تُقلِّبُ حظَّها المنحُورا

ما حلَّ فينا لم نعُد أشباهَهُم

ونودُّ عاقبةَ الأمورِ سُرورا

ونودُّ أن يُحكى لنا عن أهلِنا

ونُخالفَ المنقولَ والمأثورا

الخيلُ أحزنها ابتعادُ سروجِها

مُذ أبعدوها أبعدوا التّحريرا

والسّيفُ أصبح ذكرياتٍ عندنا

ودمُ العروبةِ - مطمحاً مبتورا

جاءت لتُسْكِتَنِي فقلتُ تأكّدي

بات الصحيحُ من الكلامِ خطيرا

وتغيَّرت ليلى فتبَّاً للهوى

للآن تلبسُ خاتماً محفورا

جاءت تُبشّرُني ببعضِ حديثها

مَن يسمعُ المجنونَ والمسحورا

فستانُها المرحومِ أخبر والدي

يا والدي لا تُخبرِ التّعبيرا

لو لم يكن جسدُ العراقِ سفينتي

لقضيتُ أيامَ الرّحيلِ ضريرا

ما كُنْتُ محبوسَ الضميرِ لأنحني

ذلاًّ ولا بمحلَّهم مكسُورَا

أنا فاعلٌ والرّفعُ آخرُ ما بقى

عندي وألبسُ جُبَّةً وحريرا

أقسمتُ يا وطنَ الزهورِ بأنَّ لي

في كُلّ أرجاءِ البلادِ زُهورا

عاصرتُ سبعَ سنابلٍ منقوشةٍ

في الشّمسِ صِرنَ جداولاً وقُصُورا

من بينـهنَّ عبرتُ أحملُ رايةَ

التجديدِ أحتضنُ المذاقَ سديرا

قالوا مَن المومى إليهِ كأنّهُ

نجمٌ يُسطّرُ في السّماءِ عبيرا

فأجابهم بحرُ القصائدِ وَيْحَكُمْ

قد جاء مَن يهبُ الحناجرَ نُورا

قد جاء مَن شقَّ الصُّدورَ بريقُهُ

وأحال كلَّ الأغنياتِ طُيُورَا

هذا العراقيُّ الفخورُ فأوعزوا

للبحرِ أن يتصفَّحَ الإكسيرا

حُلُمٌ تجلّى أن أعودَ كما مضى

عهدي وأرجعَ ضاحكاً مسرورا

حُلُمٌ تحوَّلَ في حكايةِ شاعرٍ

قَلَمَاً بتصديرِ الحروبِ جديرا

ومررتُ أستوحي العراقَ فقال لي

أضحت ديارُك مُنكراً ونكيرا

مُتْ تحت أضغانِ النصوصِ فإنـها

جعلت تجلَّيك الكبيرَ صغيرا

فبكيتُ بين يديهِ أنتَ تقولُها

ضحكَ العراق وهزّأ التّنويرا

صبراً فخُذها يا بُنـيَّ ولا تخف

عُذراً أبي أو ما تزالُ صَبُوْرَا

الإله تَابُو

قُمْ وافتحِ البابَ واسألْ عنهُ يا طلبي

وقل لهُ هل دفنتَ النّارَ بالحطبِ

واسألهُ أيضاً عن البارودِ إنَّ يداً

لم تألفِ السّيفَ لم تسلمْ من العطبِ

وحين يزدادُ وعياً في قصيدتهِ

لابُدّ أن يَعْزِلَ المحرابَ عن خُطَبِي

وقد سمعتُ بنفسي قال سُخريةً

لا تطرقِ البابَ بل وافتح بلا عجبِ

فإن عرفتَ خفايا ما سأذكُرُهُ

قَبِلْتُ منك وإن أسرفتَ في اللّعِبِ

تقولُ مَن أنت من أيّ البلادِ أجب

أنا الذي أطفأ النيرانَ دمعُ أبي

لئن كشفتَ مقاماتي سيُسعدُني

هذا التّرفعُ يعني حالةَ التّعبِ

وإن جهلتَ ولم تُدركْ فيا أسفي

على المنابرِ والاقلامِ والكُتُبِ

على المحابرِ لم ترسُم مُوَثّقَةً

وجهَ الصباحاتِ في قرطاسِها الخَشَبِي

خُنتَ المسافاتِ أم أخفقت في عَتَبٍ

الموتُ أهونُ أحياناً من العتبِ

خُنت المسافاتِ واستعجلت رؤيتَهُم

أم كُنْتَ لا تفهمُ الألغازَ في الشُّعَبِ

لا تخدعِ الريحَ فهي الآنَ مُثْقَلَةٌ

بأُغنياتِكَ بالأحلامِ بالكَذِبِ

ببعضِ ما قيل عن عينيك أرْهَقَها

ذاكَ التّرقبُ فاغتالتك عن كثبِ

ولم توثَّقْ سوى استنزافِ قيمتِها

بين العناوين والأعوادِ والرُّكَبِ

لأنكَ الحُلْمُ كان النّومُ يسألُها

وحين أفشلتَ ذاكَ الحُلْمَ لم تُجِبِ

وحين شوَّهتَ نايَ اللهِ في فمِها

تحوَّلت من أهازيجٍ إلى صَخَبِ

وأوقفت كل ما حاولتَ تُنْجِزُهُ

بحُجّةِ الدّينِ والتعميدِ والنّسَبِ

مُتْ أو إذا أنتَ ما قد مُتَّ مُقْتَرِحَاً

أنا اقترحتُ عليها قهوةَ العنبِ

أنا تجرّأتُ بعد الصّمتِ في بلدي

وسوف أصنعُ تابوتاً من الرّطبِ

وسوف أقرأُ آياتي وأدعيتي

وما يطيبُ بأنفاسي مِنَ الطّرَبِ

أمام من أبدلوا ليلى بعاهرةٍ

وزوَّروا ألفَ قيسٍ عاشقٍ بِصَبِي

لأنهم لم يكونوا مثلَ حنطتِنا

تقاسموا خُبزةَ التنورِ بالسّغَبِ

يا ويلنا منك هل أكبادُنا احترقت

وهل توشّحتَ شيطاناً بوجهِ نبي

وكم تمشّيتَ كالأشرافِ في الحسبِ

وأنتَ تُبدعُ في التّشويهِ والسّلَبِ

النّخْلُ ما عاد يُعطينا عُصَارَتَهُ

ولا العصافير تُملي وِحْدةَ القَصَبِ

خزائنُ الرّمل لو كانت مُقسّمَةً

على المساكين لكنْ عثرةُ الأرَبِ

وللمساكين أوهامٌ مُجَرّدَةٌ

فهم ينامون أحياناً على النّصَبِ

تصوروا أنَّ في الأحلامِ منزلةً

وأنَّ في الصّمْتِ تأويلاً من الرُّتَبِ

خُنت المسافاتِ أم خَانَتْكَ زحمتُها

وبُتَّ تنسجُ مشروعاً من العُجُبِ

وربما أنتَ قد حاولتَ تُقْنِعُهُم

وما القناعاتُ إلا مصدرُ الحُجُبِ

وبعد أن صِرتَ أبدلتَ ابتسامتَهُم

وأصبح الدّينُ تعبيراً عن السّلَبِ

تلك الاساطيرُ من أسبابِ محنتِهم

ودورةُ القتلِ من تفسيرها الخَرِبِ

هل التماثيلُ لما اسَّاقطت وَهَوَتْ

هدأتَ في الحالِ أم جاهرتَ بالغضبِ

ما إن غفا الفجرُ حتى أوشكت رِئَةٌ

مشى بها الموتُ مشيَ القائدِ العصبي

وإن أزالوكَ عن معناكَ قد عرفوا

سيبعثُ اللهُ أطياراً من الشُّهُبِ

فكُلٌّ قتلاكَ والذكرى تُأرجحُهُم

على المحاريبِ إلا بائعُ الحُقَبِ

أنا الحكاياتُ والنّاياتُ يا وطني

يا صيحةَ الكأسِ هُزِّي الجِذْعَ وانتصبي

(تابو) على أيِّ وجهٍ من أرادتِنا

أحببتَ أن ترسُمَ الماعونَ بالجَرَبِ

وهل تودُّ بأن أبكي لِتَسْمَعَنِي

أم هل تُغَيِّرُ هذا الكونَ بالنُّخَبِ

أم هل ستُسقطُ أحكامَ السماءِ ولا

تُبقي مقاديرَ قانونٍ بكفِّ غبي

فألزمِ القلبَ سُلطاناً فكُلُّ فَمٍ

تُديرُهُ النفسُ مبعوثٌ من الجُبَبِ

من عهدِ آدمَ حتى الآنَ تحملُهُم

عبادةُ الشّرِ في كوبٍ من الذّهَبِ

كأنّ قابيل لم يفهم جريمتَهُ

وأنَّ هابيلَ مقتولٌ بلا سببِ

ومن عصورٍ قديماتٍ ونحنُ بلا

محطّةٍ واستراحاتٍ من اللّهَبِ

عرفتني الآن أم مازلت تجهلُنِي

بعضُ التجاهُلِ تصريعٌ من الجُعَبِ

وبعضهُ كان توضيحاً بأنّ فماً

لم يعتد الصّمْتَ – مفضوحٌ بلا ذَنَبِ

إن لم ترَ الدّمَ فوق البابِ سوفَ ترى

جراحَ شعبٍ وآثارٍ لمُغْتَصِبِ

وحين يسألُكَ الحُرّاسُ كُنْ بَطَلا

وقل لهم إنَّ هذا خيرةُ العَرَبِ

أنا الذي نظر الأعمى إلى شَغَبِي

وكان مِنْ قبلُ لم ينفعْ بهِ أدَبِي

وأسمعت كلماتي مَنْ بهِ صَمَمٌ

لكنّهُ ازدادَ جهلاً فهوَ في نَصَبِ

قُم واقرأ اليومَ ما يجري على بلدي

واحْكُم على الحالِ لكن ليس كالذّهَبِي

المهرجاناتُ يا مولايَ فارِغَةٌ

من المواويلِ خانَتَها يدُ الحَسَبِ

لم يَخْرُجِ الدّمعُ من عيني دفعتُ بهِ

إلى الشّرايين والأحشاءِ والعَصَبِ

قم وافتح البابَ قبل الطّرْقِ واحْكِ لهُ

عن قصّةِ الرّيحِ والأوراقِ والقَصَبِ

عن نقمةٍ حكمت جيلين في وطني

فقرّرْ الآنَ واسمع صيحةَ النُّخَبِ

من أصحابِ الكهف

وطني إلى مَنْ سوف تشرحُ حالي

أوْلى بمثلِك أن يُجيبَ سؤالي

وإلى متى تُدْمِي السياسةُ مُهجتي

وتمرُّ أيامي معَ الأهوالِ

وتمرُّ تحملُ كلّ يومٍ حاكماً

بَشِعَاً يقودُ الناسَ باستغلالِ

الموتُ قصّتُنا التي لا تنتهي

وقساوةُ السجانِ والأغلالِ

لم يستطع أحدٌ قضاءَ حوائجي

قدرٌ عليّ معيشةُ الإذلالِ

مَن علّمَ السُّلطانَ خِدْعَةَ شعبهِ

وسياسةَ التخويفِ في الأحوالِ

واحترتُ في هذا العراقِ أُحبُّهُ

رَغمَ العناءِ ونقمةِ الآجالِ

مرّت بهِ غُصصٌ ولم يأبهْ بها

وتراهُ بين الطّبلِ والطّبالِ

إلا كهذا اليوم ما مرّت بهِ

يا كذبةَ الأحلامِ والآمالِ

لِيَ في العراق عصابةٌ) يا صاحبي

إن كُنْتَ لم تُحْبِبْهُ كيفَ تُغالي

أنا ما أزالُ أُحبُّهُ وأُريدُهُ

وأعزُّ حتى من جميعِ عيالي

لم يُعطِني شيئاً أيوجدُ فارِقٌ

بين التُّرابِ وخِسّةِ العُمّالِ

بين الوفيّ فلا يخونُ بأرضهِ

والغادرين وسارقي الأموالِ

تبّت يدُ الشعراءِ إن لم يرسموا

بدمِ القصائدِ قَفْزَةَ المِهوالِ

ومتاهةَ الطّفْلِ اليبيعُ قُمامةً

حمّالةٌ ترنو إلى حمّالِ

أُمّاهُ جئتُكِ بالطّعامِ هدّيةَ

الوطنِ الغنيَّ وقد ملأتُ سلالي

فاستبشري بالخيرِ إنّ حكومةَ التغييرِ

أرخصُ من خُيوطِ نعالي

أنا قادمُ الجيلِ الجديدِ أصونُهُم

ويدايَ مُتعبتانِ باستبسالي

سأنالُ جسمَ الأرضِ ثوباً أسوداً

يا أسودَ الألوانِ أين هلالي

أين انتهيتَ معيْ كفاكَ تقولُ لي

لونُ الحروبِ قيافةُ الأبطالِ

ومِن البطولةِ جاء حظٌّ عاثرٌ

ما في الحظوظِ سوى انحطاطِ خيالي

القُبحُ مُنتشرٌ فلا تتوقعوا

أن يستريحَ معَ القبيحِ جَمَالي

هل أستريحُ وما رأيتُ سعادةً

وسعادتي في أن أُعيدَ جلالي

(الشّمسُ أجملُ في بلاديَ من سواها)

والظّلامُ حقائقٌ ومَجَالي

جوعُ اليتامى والحكاياتُ التي

قُرأت وبعضُ طرافةِ الأطفالِ

وَخِمَارُ امرأةٍ تُوفّيَ زُوجُها

قتلوهُ بسمِ الرّاهبِ الدّجالِ

وحنينُ شيخٍ قد تجاوز عُمْرُهُ

التّسعينَ أكبرُ من جنابِ الوالي

وحصيرةٌ صفراءُ تجمعُ شَمْلَنا

في الصّيفِ خاليةٌ من الأدغالِ

وصفاءُ نيّاتٍ يَنمْنَ سويّةً

وجلاءُ أفهامٍ خِلاء البالِ

الزّرعُ أخبرني عن الرّوحِ التي

كانت تودُّ إزالةَ الإهمالِ

وعن البذورِ تخافُ حُفرةَ غرسِها

فالغَرْسُ أصبحَ خدعةَ الأقوالِ

بلدي على يدِ مَن تموتُ رخيصةً

وهيَ العُلى في المنطقِ المُتعالي

ولأنني العربيُّ قوبلَ مطلبي

بالرّفضِ قبل البوحِ بالأمثالِ

آهِ على الجارِ الذي أشتاقُهُ

أرْجِعْ عليَّ قصائدي وسجالي

دَفَعُوْهُ عن بابي وقالوا هكذا

قَدَرُ الحياةِ وقادمُ الأجيالِ

جاءوا لمحوِ هُويتي في لُعبةِ

التجديدِ يا لُغةَ الكتابِ تعالي

ولأنَّ في لُغتي السّلام تعمَّدوا

تشويهَ أعمدتي ودفنَ رِحَالي

أنا لا أُدافعُ عن كلاميَ كارِهاً

أحداً ولكنَّ الكلامَ ظِلالي

إنَّ احتقارَ هُويتي وعروبتي

سعيٌ لِفَصْلِ النّور عن أوصالي

سعيٌ لكي أنسى الرّجولةَ هكذا

لأموتَ مجهولاً على استسهالِ

لا تطعنوا التاريخَ بل أفعالَكم

يتجددُ التاريخُ بالأفعالِ

أنا مثلُ قُطبٍ واقفٌ وعصاهُ في

يدهِ وحوليَ يرقصون رجالي

ألقيتُ في قَصْرِ الطُّغاةِ حبالي

ورميتُهُم بقنابلِ استرسالي

إن أعرضوا عن صيحتي بتجاهُلٍ

قفصُ الحياةِ يدورُ بالأحمالِ

ربٌّ لم يُعبد

دمعٌ على خدّي لها مُتَطفِّلُ

من دون أيِّ موانعٍ يترحَّلُ

ودمٌ يصبُّ على يديَّ بسُرعةٍ

كالرّيحِ هذا السائلُ المُترهِّلُ

أخذ السعادةَ من فمي ومشى بها

للأرضِ يحفرُها فصاح المِنْجَلُ

قفْ عنهُ لا تزرعْ سوى كلماتهِ

واحْمِلْهُ مُنْفَرِدَاً فأنتَ ستُقتلُ

وارْسِمْهُ زاويةً على عرصاتِها

يُبنى العراقُ ويُستردُّ المِعْوَلُ

كي لا يخافَ من الرحيلِ لوحدهِ

ضع نَصْبَ عينك كُلَّ بوحٍ يُقْبَلُ

واسألهُ كيف سيستريحُ إذا رأى

بُستانَهُ الذهبيَّ فهو سيُسألُ

للماءِ فاكهةٌ يُحاولُ غسلَها

فوق الفواكهِ شاعرٌ يتبتَّلُ

وضفيرةُ امرأةٍ أزالت بُقعةً

سوداءَ فالجسدُ العظيمُ مُجَنْدَلُ

نظروا لضحكتِها ولم يتحمَّلوا

جلسوا على أطلالها وتخيَّلوا

هُمْ يجهلون نزولَها في أرضِهم

أنت الوحيدُ عرفتها وستذبلُ

نم تحتها بهدوء واعصرْ فخذَها

واشرب من الماعونِ فهيَ المَنْهَلُ

لن يستطيعوا محوَ صورتِها التي

في البحرِ تظهرُ دائماً وتُطبَّلُ

قد حاولوا أن لا تكونَ فأخفقوا

للملحِ غيمٌ في المراقدِ يهطلُ

في صدرها مُتَصوّفانِ إذا هما

مُسِكَا فسوف يعودُ يومٌ مُخْجِلُ

كُن واثقاً منها بأنك كُلّمَا

قدَّمتَ روحكَ خفَّ عنكَ المحملُ

أغْرَتْكَ حين رقصتَ لستَ بهيَّنٍ

سيجيئُ يومٌ أيها المُتأمَّلُ

خذلوكَ في وضحِ النّهارِ فلا تخف

أنا لا يخافُ لديَّ مَن يتوكَّلُ

تركوك ما سمعوا غناءك هكذا

يبقى الحمامُ وللهديلِ تعقُّلُ

دمعٌ خُذ الدّمعَ النزيهَ وعش بهِ

فالعيشُ في الدّمعِ النزيهِ ترفُّلُ

لم يُعبدْ الرّبُّ العفيفُ إلى متى

ربٌ عفيفٌ ما يزالُ يؤجّلُ

وبلادهُ تركتهُ في محرابهِ

رأسٌ قطيعٌ ناسكٌ مُستبسلُ

ولقد سمعتُ من التُّرابِ يقولُ لي

صوتٌ لهُ في الأُغنياتِ توسّلُ

نم مثلما نام السّحابُ مُبشَّرَاً

بالغيثِ فالغيثُ القريبُ مُسَجَّلُ

ستُزالُ عن شمسِ العراقِ عوارضٌ

والضوءُ آتٍ من ورائكَ مُقْبِلُ

أرأيتَ عاقبةَ الدُّخانِ وما بهِ

قد حلَّ حين الماء قال سأنزلُ

المقتول المُعقّد

أبكي على مَنْ مِنَ الأحبابِ يا عُقَدي

وكم سأكتمُ أفكاري ومُعْتَقَدي

مَن منهما جاء والسكّينُ في يدهِ

وأين أرحلُ لا أدري وما بيدي

أنا أخوكَ فلا تغضبْ أتَمْقُتُني

وأنت تُدركُ ما أخفيتُ مِن خَضَدي

أنا نزيفُ جراحاتِ النخيلِ فلا

تُكثرْ عليّ مُعاناتي وكن سَنَدي

كم عشتُ همّك حتى استُهْدِفَت رئتي

ماذا عليك إذا شاركتني كَمَدي

ما عاد يَفْرِقُ عندي أن تُريقَ دمي

وقد تنازلتُ للأحزانِ عن جلدي

أمشي وما عُدتُ أدري مَن سَيقْتُلُني

عشيرتي أصدقائي أخوتي وَلَدي

فكُلّهم في نزاعاتٍ تُفَكْكُهُم

ويستفزّون في أحزابهم غِدَدي

أرى نهايةَ أطفالي فأحضُنُهم

خوفاً عليهم وما هوّنتُ من نَكَدي

حاولتُ أن أتحاشى ما يُخَوْفُهُم

وأن يكونوا بلا تهديد من أحَدِ

وحين فوجئتُ أنّ الموتَ حَاصَرَهُم

وقفتُ للموتِ واستبدلتُهُم جسدي

خُذْ كلّ شيءٍ ولا تأخُذ بلحيتهم

هُم السعادةُ من دُنيايَ هم كَبِدي

هم هذهِ الأرضُ كم جاءوا وكم ظمئوا

وكم تأمّلَتُ فيهم كثرةَ العَدَدِ

وكم تخيّلتُ حُلماً أن يعودَ بهم

بيتي القديمُ وأضوائي ومُعْتَمدي

السومريون كانت تلك ميزتَهم

والبابليون كانوا هيكلاً صمدي

وغابةً لم يكن فيها سوى أسدٍ

يا حسرتي أين ذاك العهدُ يا أسدي

لم يبقَ شيءٌ لقد حيلت سعادتُنا

بقتلِ أولاديَ الأحرارِ للأبدِ

وأصبحَ الرّجُلُ الكادودُ مُنْخَفِضَاً

يخافُ من قسوةِ السُّلطانِ والحَسَدِ

يخافُ من خدِعةِ الأحلامِ تُجْبرُهُ

على تَقمُّصِ دورِ اللحمِ في السّفَدِ

أبكي ومازال ناقوسي يُطمئنُنِي

ماكنتُ أقبلُ إلا عيشةَ الوَتَدِ

أنا فقيدُ الأماني سوف أُقنعُهُم

بأنني رغم هذا غيرُ مُفْتَقَدِ

ناياتُكم يا مُزيلين ابتسامَتِنا

لم تُنقذِ الرّيحَ يا ناياتُ فابتعدي

تبيّن الآن حقّاً أنّ مَن غَرَفوا

هُم أطعموا السّاحلَ المحسودَ بالزّبَدِ

مُسدساتٌ أحاطتنا يُقالُ لنا

إنّ التعابيرَ قتلى والضميرَ نَدي

نمت بعقليَ في هذا العراقِ رؤىً

يارؤيةَ العقلِ لا تستصغري ثَمَدي

لا تُخبري سُنبلاتي عن خسارتِها

وعن حرارتِها مُذْ أيقظت رصدي

عن قاتلٍ سوف تؤذيني رصاصتُهُ

لأنهُ صاحبُ الإفتاءِ في بلدي

لأنهُ كُلّما صلّى بزاويةٍ

يزدادُ قُبْحَاً فأدنى منهُ لم يَرِدِ

يُكلّمُ اللهَ مسروراً بلحيتهِ

وفي الدرابين أيتامٌ بلا رغدِ

جريمتي في زمانِ الكاذبين إذن

أني على ذكرياتٍ يرتقبنَ غدي

يا ذكرياتي أعَيرِيني مُصالحةً

بعضَ الجراحاتِ والأيامِ واحتشدي

فقدتُ أجملَ تاريخٍ زهوتُ بهِ

وصرتُ كالرّيح ِلا أرسو على أمَدِ

وصرتُ كالرّاهبِ الصوفيّ في جبلٍ

عسى يُعوّضُ بعد الجوعِ بالمددِ

درسٌ من نوعٍ مُختلف

ألْقَتْ على وجهي العنيدِ كِتَابَها

وتراجعت كي لا أمسَّ نِقَابَها

ستمُدُّني بالدّفءِ قبل رحيلِها

ومن الضّروري أن تُعيدَ حسابَها

كانت تُدَرّسُنِي وكُنّا وحدَنا

فوقفتُ مُضْطَرّاً لأُغلقَ بابَها

اللهُ يشهدُ أنني حاولتُ أن

أُبقي عليّ ولا أقدُّ سحابَها

إن كان يوسفُ مُعْرِضاً عن كأسِها

أنا لستُ أُعرضُ بل أودُّ شرابَها

جسمٌ إذا مالت تميلُ مشاعري

وفمٌ إذا نطقت مصصتُ لُعابَها

الشّعْرُ أمطارُ الشتاءِ خُدودُها

قمرانِ تفتنُ أهلَها وصِحابَها

لو أنها قَبِلَتْ بمثليَ خادماً

أو طالباً كي أسْتَغِلّ نصابَها

جاء العزيزُ فأخبرتهُ بِتُهمتي

هذا الغبيُّ ألم يذُقْ أكوابَها

عن أيّ ذنبٍ سوف يسجُنُني بهِ

وقد اعترفتُ لهُ وَنِلْتُ حجابَها

خُذني أسيراً ربما ستجيئُني

بالسّوطِ تجلدُني أُحبُّ عِقابَها

ولعلّ حُلماً لا يُفسّرُهُ لها

أحدٌ فأكشفُ للملوكِ هِضابَها

إن كان لي وجهٌ قبيحٌ أعرضت

عن ذكرهِ رَضِيَ القبيحُ سُبابَها

ظُلمت من الرّجُلينِ هذا مُدْبِرٌ

عنـها وذاك مُعَطّلٌ إنجابَـها

وأنـا ضحيةُ هؤلاءِ عَشَقْتُها

وتجاهلتنـي فاحتملتُ عذابها

تابت إلى اللهِ الذي ألقى بها

في حُضنِ مَن ألقت عليهِ رِكَابَها

لِيُعِيدَ ما فقدتهُ كانت حُلْوَةً

جدّاً أعاد لـها النّبيُّ شبابَـها

كانت وقد ربّتهُ طفلاً يانعاً

لا تشتـهيهِ ولم يَكُنْ جَذّابَـها

حتى مشى العُمْرُ الجميلُ تضـمُّـهُ

ولداً وفيما بعدُ هَزّ قبابَـها

فتجرّعت ذاك العذابَ لأجْلِهِ

وَنَسَتْ بهِ الدنيا الغرامُ أصابَـها

حتى التماثيل المُقدّسة التي

ركعت لهُنَّ وعَظّمَتْ أحسابَها

راحت تُكَسّرُهُنّ لم تأبهْ بما

سيكونُ بل راحت تُهينُ جنابَها

لم يبقَ في الكونِ الفسيحِ بقلبِها

إلا الذي تهواهُ كان مئابَها

لكنها لمّا رأت من فعْلهِ

تركتهُ كيما يستفزَّ مَصَابَها

وهُمُ الثلاثةُ أفلسوا مِنْ بعضِهم

وأنا أُحبُّ زُليخةً وتُرابَها

الفَرْقُ بيني والنّبيّ بأنني

رَجُلٌ يُعاني في الزّمانِ خِطَابَها

هجرت كلامي لم تُعِرْ لمُصيبتي

قَدْرَاً سأقبلُ لو سَمِعتُ عتابَها

إن لم تُعِدْ بصري الضّريرَ أمامهم

والله إن جاءت أشقُّ ثيابَها

ولها على قلبي العُهود تردُّ لي

ما راح مني أن أصونَ غيابَها

وأظلُّ أهواها إلى أن ينتهي

أجَلِي وأُقسِمُ لن أرى أربابَها

لا شيءَ أحلى أيُّ ربٍّ إنها

مجلى الإلهِ فكيف أتركُ قابَها

اللهُ أوجدَها بديلاً عنهُ لي

ومن العبادةِ أن أشمَّ لُعابَها

ها يا زُليخةُ هل قُبِلْتُ فأحتسي

ما طاب ليْ أم أمتطي نشّابَها

أنا طالبٌ ما نال من طبشورهِ

شيئاً إذا ما أكْرَمَتْ طُلّابَها

الحُبُّ في وطني حمامٌ هاربٌ

لم يُدركِ الصّيادُ إلا نـابَها

يمشي ولا أحدٌ سعى لخلاصهِ

من وحشةٍ رَكَلَتْ عليهِ كلابَها

القحطُ دَمّرَ أرضهُ فالحربُ لم

تعرف صديقاً كي تزيدَ ضبابَها

والناسُ مُنشغلون في أحلامِهم

يا قسوةَ الأحلامِ واستغرابَها

ومعابدُ الحّضراتِ ترغبُ هكذا

أن لا أُخالفَ دائماً كذّابَها

والأخوةُ العادون باعوا دينَهم

حسداً وهم يتقاسمون رِقَابَها

فأبوهمُ الأعمى العفيفُ لوحدهِ

يبكي ويسألُ في البلادِ ذِئَابَها

فاستأثرَ الملكُ الحفيدُ منامَهُ

ليكونَ يوسفُ في الختامِ جوابَها

حربٌ على ماذا وماذا حقّقت

غيرَ الدّمارِ وحَرّكَتْ أحزابَها

أنا ليس لي دَخْلٌ بتلكَ وهذهِ

أحتاجُ أفهمُ مرّةً أسبابَها

أحتاجُ قِسْطَاً من سيوُلِ سعادةٍ

منها حُرمتُ ولم أكُنْ جَلّابَها

أحتاجُ امرأةً وكوخاً آمناً

ومعيشةً تُجري عليَّ ثوابَها

لا قتلَ فيها لا خلافَ ولايداً

تغتالُ في سكّينةٍ أحبابَها

وتُحيلُ جسمَ البُرتقالِ مصائداً

للآخرينَ فكم تُسِلُّ حِرابَها

أنا أجملُ العُشّاقِ لم أقمعْ فَمَاً

وقنابلي قُبَلٌ رَمَتْ أطْنَابَها

حتى وإن جاءت إليَّ بقاتلٍ

وتَمَثّلَتْ قابيلَها وغُرابَها

ما زلتُ أرغبُ أن أكونَ عزيزَها

وأحَبَّ سيفي أن ينالَ قِرَابَها

عُدْ إلى مكانك

تلاشت طبولُ الحربِ أين المُحَارِبُ

وأين الغيارى والحِمَى والتّجَارِبُ

زمانُ الفتى في الأمسِ أمضى حَمَاسَةً

وما في الزّمانِ الآن إلا التّكَالِبُ

رأينا رِجَالاً أقوياءَ بفكْرِهم

إذا أقبلوا فالخصمُ لاشكّ هاربُ

سمعنا كثيراً أنهم أهلُ غيرةٍ

وأنّ انتصاراً عندهم فهو واجبُ

وكم من علوٍّ حققّوا في قِتَالِهم

وكم جَرّهم للفخرِ عَزْمٌ مُصَاحِبُ

وما إن أتى الإسلامُ صاروا رُموزَهُ

وعاشوا مع القُرآنِ حتى تقاربوا

فَعِلْمٌ وأفكارٌ وجودٌ وهيبةٌ

وحِرصٌ شديدُ الإتّباعِ وحاجبُ

إذا كان هذا الحُلْمُ كِذْبَاً أظنُّهُ

جميلاً متى يا حُلْمُ يأتيكَ كاذبُ

متى تُنجزُ الأوهامُ لو بعضَ مرّةٍ

تُفَرّحُنا كي لا يموتَ المُخَاطِبُ

نرى جِيلَنا ما عاد جيلاً يهابهُ

عدوٌّ وتُجْري الحُكْمَ فينا الأجانِبُ

بدايةُ هذا القتلِ صَمْتٌ أحاطنا

ولمّا فقدنا القُدْسَ قُصّت شوارِبُ

فيا ذلك البحرَ الجميلَ تحوّلت

أغاريدُهُ نَدْبَاً وفرّتْ قوارِبُ

وفي داخلِ الماءِ الذي عاش جوهراً

غموضٌ وفوق الماءِ لاحت طحالِبُ

ولو أننا فعلاً شربنا كؤوسَهم

وما اسّاقطت فوق الأنوفِ المصاطِبُ

لعشنا حياةَ العزّ أيامَ دهرِنا

وبانت علينا في الدروبِ السباسِبُ

وعُدنا بأيدينا القراراتِ كُلّها

ولكن كلامٌ مُسْتَحِيلٌ يُعَاتِبُ

أأبقى على هذي الأحاديثِ واهماً

أم الوهمُ للمخدوعِ شيءٌ مُناسِبُ

سلامٌ على هذا العراقِ ابنِ لوعتي

على جُرْحِهِ في القلبِ مَن ذا يُطالِبُ

ومَن ذا يُعيدُ النّخلَ مِن حبلِ غاصِبٍ

تَسَلّقَ رأسَ النّخلةِ الأُمّ غاصِبُ

فأنشد صوتُ التّمْرِ مِن خلفِ سَعْفهِ

أن استوقفوا كيما تعودَ العقارِبُ

وكونوا عبيدَ النّاي فالنّايُ قادرٌ

على فَكّ لُغْزِ الخوفِ فهوَ المُحَاسِبُ

أنا لا أًهينُ العُرْبَ قومي ومَنْشَأي

ولا أُسقِطُ المعنى هوَ الحَرْفُ غَالِبُ

ولا أجعلُ الأُنثى التي في قصيدتي

بِمَنْزِلةٍ أدنى فأُنثايَ راهِبُ

ومَعْبَدُها قلبي ستُعْطِيهِ حُسْنَهَا

تُسَاءلُ عنها في ضميري مساحةٌ

وقد ينفعِ الجافين يوماً تقارُبُ

أنا في العراقِ الآن ما زلتُ خائفاً

وللخوفِ في عصرِ النفاقِ المصائبُ

أرى الطّفْلَ لم يُرحمْ يُحبّون قتلهُ

وكم روّعَ الأطفالَ في القتلِ عاصبُ

ومَن يرحمُ الشيخَ الذي فات عُمْرُهُ

وقد سُلسلت في رُكبتيهِ المتاعبُ

سأرسمُ لي أرضاً وشعباً مُسَالِمَاً

وأحْلُمُ وحدي كي تهونَ النوائبُ

سأرسُمُ ألافَ المصابيحِ وَحْدَهَا

وأُبْعِدُ عنها الظُّلمَ فالعدلُ غاضبُ

سأرسُمُ ضبياً شرّدوهُ لأنهم

ثعالبُ طبعٍ هل تتوبُ الثعالبُ

سلامٌ على الحُلمِ الغريبِ احتضارهُ

قريبٌ وعند الموتِ تؤتى المطالبُ

على ريشةٍ طارت هيَ الريحُ دائماً

تُحبُّ الحيارى فوقها العصفُ راكبُ

على لوحةٍ أقلامُها تحت رِجْلِها

وألوانُها في الحربِ سِلْماً تُجانِبُ

وقبل رحيلي سوف أبكي عروبتي

وأيامَ أمجادٍ رَمَتْها الأعاربُ

أحنُّ إلى الماضي ولكن بلا يدٍ

تُعزّزُ مدَّ السيفِ إن ديسَ حَاجِبُ

يدي أرغموها أن تُصلّي حبيسةً

ومَن لا يدٌ في صدرهِ فهوَ شاحبُ

وتلتفُ من حولي أمورٌ قبيحةٌ

كما استرجلت من حولِ أهلي العواقبُ

يجوعُ اليتامى راح عنهم أبوهمُ

فأُمّهُمُ ثكلى وما الرّزقُ طائبُ

أنا لا ديارٌ أكرمتني كشاعرٍ

ولا ثمّنتني في البحارِ ، المراكبُ

كثيرون مَن يبكون مثلي حظوظهم

تُدَاهِمُهُم في المُعضلاتِ النوائبُ

لأحلامِهِم في الليلِ مَسٌّ يُخيفُهُم

إذن هذهِ الأحلامُ حتماً خرائبُ

إذا صرتُ أُستاذاً عليهم سألتُهُم

سؤالاً فريداً كيف تحلو المطالبُ

أقيلوا غريباً في نواحيهِ دمعةٌ

تُغنّي وفي جُدرانهِ الخمسُ نادبُ

فقالوا وهل جُدرانُك الآنَ خمسةٌ

أهذا عجيبٌ لم تُهِنْكم عجائبُ

فخامسُهُنّ السقفُ والبابُ مُغلقٌ

ولا ضوءَ عندي لي سوادٌ وناحبُ

وأنكى البلاءاتِ التي ذُقتُ صابَها

بأنْ تُغلقَ المعنى علينا المكاتبُ

فإن ضامنا جورُ السلاطينِ مَرّةً

فقد ضامنا ما ترتئيهِ المشاربُ

إذا كنتُ خطئاناً بما قلتُ إنني

إلى عالمِ اللاشيء والصمتِ تائبُ

حين رأيتهُ

على هامش الأصواتِ أخبرتُ صاحبي

وما كان مني أن أخوضَ تجاربي

يقولون لي عن عشقِ ليلى بأنها

تُغازلُ سرَّ البحرِ فوق القواربِ

ومن أجلِ هذا كنتُ حلّاجَ بوحها

وقد أدخلتني في جميع التّجاربِ

أنا الشاعرُ الدرويش ما زلتُ واقفاً

على الرّيحِ قبل الآن فاسمع مطالبي

وإن قيل عني إنَّ هذا قد افترى

على أيَّ نحوٍ قلتُ ما رفَّ حاجبي

إذا قال مُحيي الدينِ فالحبُ مذهبي

أزيدُ على ما قال بل قل مذاهبي

سأجعلُ عذبَ البوحِ ديني وفكرتي

وأُسمعُ بعضَ الناسِ أحلى مواهبي

أرى الخلقَ كل الخلق أكرمتُ ذكرهم

وإن خالفوني بافتضاح معائبي

ولم يُفهمِ التهذيبُ في الحُبِ مرَّةً

فإنّي أُربَّي النفسَ قبل الشواربِ

إذا كنتُ صوفيّاً فهذا توجُّهي

لكُلّ فؤادٍ صبغةٌ في المواكبِ

إذا كنتُ صوفيّاً نعم كنتُ هكذا

ولكن أصونُ الأرضَ من كلِ غاصبِ

وما خنتُ خدَّ الله في زرعِ قُبْلةٍ

على خدَّ مُحتلٍ عقيمِ التقارُبِ

ولا بُحتُ أسرارَ النخيلِ بغُربتي

أبي صان لوني من قديمِ الترائبِ

ومُذُ كنتُ ماءً أوقفوا الماءَ لحظةً

وقالوا لهُ يا ماءُ من أيّ جانبِ

ولكن حفظت العاشقين وصنتهم

وما خُنتُ عهد النخل او هنت حاجبي

إذا لم يكن فيهِ حرج

تَوَقّفِي لستُ طفلاً يرغبُ اللّعِبَا

ولستُ أُتْقِنُ إلا الحُبَّ و الطّربا

حكايةُ الحُبّ عندي أن أُبيحَ فمي

إباحةُ الدّمِ ظلَّت تورثُ العَتَبا

توقفي إنما النياتُ أعمدةٌ

قد لا تُلائمُ من يستوحشُ الصَّخَبا

وقد تُبدَّلُ إحساساً بداخلِنا

وتجعلُ الطّينَ في حُسبانِنا ذهَبا

توقفي إنَّ هذا الجسمَ فلسفةٌ

وكُلُّ ما فيهِ نارٌ تعشقُ الخَشَبا

وربما ربوةُ النّهدينِ أُغنيةٌ

تُحرّكُ العقلَ والعينين واللّهبا

وربما يدخلُ المصباحُ في قَلَقٍ

ويركبُ الضوءُ أقماراً إذا جُذبا

توقفي واشربي الليمونَ أعْصرُهُ

وسوف أعصرُ إن لم تكتفِ الرَّطَبا

وسوف أصنعُ خمراً من تلاقحنا

يفوقُ في طعمهِ الرُّمانَ والعَنَبا

نصفُ الحقيقةِ في خدّيك قد ظهرت

ونصفُها الآخرُ المجهول قد حُجبا

يا صورةَ الوردةِ الحمراءِ في امرأةٍ

وقصَّةَ العاشقِ الصوفيّ مُذْ صُلِبَا

وضحكةَ اللهِ في وجهِ النبيّ رأى

فؤادهُ كلَّ شيءٍ عندما اقتربا

إن كنتِ تبغين وصلاً لا أُوافقُهُ

فالوصلُ في الرّوحِ لا يستقبحُ السّببا

أو كنتِ تبغين بُعداً فهو أنسبُ لي

إن لم يكن يُسقط الأوداجَ والرُّكبا

وإن خلعنا جميعَ الأُمنياتِ معاً

سنُدركُ الفيضَ والأحوالَ والطّلبا

سندخلُ الحضرةَ الأُولى بلا جسدٍ

ونلعقُ الماءَ والسّجادَ والقَصَبا

فمٌ يُقابلُهُ في لوحتيهِ فمٌ

وطبلةٌ تُرقصُ الأعوادَ والخُطَبا

توقفي ليست الأُنثى سوى لُغةٍ

تُترجمُ الشمسَ والأقمارَ والشُّهبا

الحلقة الأخيرة

تجيئُني كلّ يومٍ منك يا بلدي

ريحٌ تُحاولُ أن تقضي على جلدي

تجيئني رغم أني لم أعُد وتراً

أو نغمةً تشبهُ الإفراطَ في النّكدِ

تجيئُني وهيَ لا تدري بأنّ يدي

مبتورةٌ وجراحٌ أهرشت كبدي

وكلُ ذلك أعياني وخوّفني

وزاد في جنباتي حالةَ العُقدِ

مرّت على بعضِ أحلامي مُقَرّحَةً

دفاترٌ من زمانِ المارِدِ الأبدي

رأيتُ فيها كتاباتٍ تدلُّ على

أنّ العباراتِ أسرارٌ بلا عددِ

وأنّ تموزَ لم يأكل فريستهُ

في ظلّ عشتار والنّايُ النبيٌّ صَدِي

وأنّ كلّ مآسينا ومحنتنا

وما نُعانيهِ في دوّامةِ الفَنَدِ

قد بالغوا فامتصاصُ الدّمِ من رئتي

خرقٌ لما قيل

في التاريخِ عن جسدي

آهٍ على جسدي المقطوع تحملُهُ

قوافلُ الموتِ واقتادتهُ للأبدِ

تدافعتهُ كما الأوراقِ يأخُذُها

عصفٌ ويُرهقُها إخفاقُها الأمدي

لأنها عاينت سرَّاً يُرافقُهُ

لم تُعطهِ غيرَ ما أخفتهُ في الزّبدِ

وأجبرتهُ بأن يحكي لها قَصَصاً

كي تستريحَ وكيما ينحني وتدي

كي تشربَ الشّايَ إنّ الشايَ مُقترَحٌ

لطالما أعجبَ الكوبَ الذي بيدي

لمحنةِ الكوبِ أشياءٌ تُقرّبُهُ

وفلسفاتٌ مع الدُّخانِ والكمدِ

هل تفهمين أحاديثي التي رُويت

هنا وكم ضاع في الصحراءِ مُلتحدي

وكم تناولتُ أطنانَ العتابِ عسى

ترين بوحي وإلا عنهُ فابتعدي

الملك خوفو

خوفو كم الوقت هل أعياك تفسيرُ

أخبر مواليك أنَّ السرَّ مشهورُ

وأنَّ عينيك لم تُنجب سوى أُفقٍ

لهُ بمهزلةِ التاريخِ تعبيرُ

وأنّ سِحْرَك حتى الآن مُتكئٌ

بجانبِ الريحِ حين اغتالك النورُ

لم يفهموا أيَّ شيءٍ كلما حفروا

قبراً تساقط فوق الشمسِ تصويرُ

كلُ المحطّاتِ يا خوفو مُعطّلةٌ

وليس في بحرها القُبطيَّ تقريرُ

الذنبُ لا منكَ بل منهم لقد تركوا

جلالةَ المُلْكِ واختيرت تفاسيرُ

تجاهلوكَ عظيماً كنتَ تحرسُهم

وكان عندك تحديداً مشاويرُ

حاولتَ ترسمُ فجراً تحت قُبّتهم

فخالط القحطَ من كفّيك تأثيرُ

وعندما رُحتَ تطهو الخُبزَ تحملُهُ

هديّةَ المجدِ خانتك المناشيرُ

كم جِبتَ صخراً ولم تتعب لتجعلَهم

في العبقرياتِ فاهتزّت أعاصيرُ

وجاءك الماءُ كالأُنثى لتقذفَهُ

حضارةً وتراءتك المعاييرُ

لذلك اخترتَ بعضَ الطينِ مُعجزةً

وكيفما بُتَّ فالماعونُ مستورُ

أنا كما أنت ربٌّ عاجزٌ وفمي

يذمُّ رهطاً وتؤذيهِ المقاديرُ

لبستُ ثوباً عراقيّاً - مُطرّزةٌ

بهِ السباسبُ خانتهُ الأساطيرُ

خوفو أما زلتَ عرَّيساً أكان بهم

رقصٌ أقيل لهم من حولهِ دوروا

ما كنتَ في المُلْكِ إلا وهو يرفعُهُم

وخلف أهرامِك العالي تدابيرُ

أنت الحضاراتُ فعلاً كُلهُنَّ بلا

خوفو وإن كُنَّ أعلاماً - محاذيرُ

وأنت رِجْلُك فوق الأقوياءِ مشت

دهراً فدهراً ولم يُرْهَقْكَ تحريرُ

أوصيتَ خَفْرَعَ قبل الموتِ يا ولدي

خُذ حِصّةَ الأرضِ فيما قلتَ تشفيرُ

يا شاعراً في زمانِ القحطِ تقرأُ ما

أُوحى إليك قد انشقَّت تصاويرُ

يا خُبزةً أكلوها وهيَ خالدةٌ

تزدادُ طولاً كأنَّ اللُغزَ مبتورُ

(مَرِيتُ) في العشقِ تبقى ضحكةَ امرأةٍ

لذيذةِ الطعمِ أغْرتها المعاذيرُ

تنامُ تحتك تعني في تنزُّلها

طويَ الأنوثةِ ما في الأمرِ تحبيرُ

ولا عصتكَ بشيءٍ طولَ فترتها

لأنَّ حُكماً بلا فرعون مدحورُ

خوفو أنا جئتُ هل في مصرَ تحملُني

إلى جنابكَ أم معنايَ مكسورُ

وقفتُ عندك كفّي فوق أُغنيةٍ

تسوقُها للتواريخِ النواطيرُ

قبورُ عُمّالك العاصين مُذ جُهلت

تلاقفتها على صمتٍ بواكيرُ

وهم أحقُّ بأن يُبنى لهم هَرَمٌ

وأن يكونَ لهم فيها مساميرُ

خوفو وما اليوم فينا حاكمٌ مَلِكٌ

يبني الصروحَ أضرَّتنا القواريرُ

مِن بعدكم أيها الرّبُ الذي حُفظت

بهِ الحضاراتُ لم تُحفظ تباشيرُ

إذن ستُخبرُهم عنّي وعن قلمي

وعن بقاياك فالأخبارُ تبشيرُ

أنا سأنبشُ قبراً كان يدخُلُهُ

ضوءٌ على عاجلِ الأيامِ منصورُ

وأشرقت مصرُ فاحتاج الزمانُ لها

ومن حواليك تُجتاحُ الأساريرُ

مَنَقْرَعٌ عندما أُوصى مشى قَلِقاً

وحيثما سار حفَّتهُ الأعاصيرُ

في أُمَّةٍ فقدت خوفو وبذرَتَهُ

تناوشتها على حينٍ دساتيرُ

لم يبقَ من عزَّةِ الفرعونِ غيرُ فمٍ

يروي الحكاياتِ لا توجٌ ولا دورُ

ليتَ الفراعين عادوا كي أقولَ لهم

بأنَّ حُكامَنا قومٌ شعاريرُ

وأنهم ما بنوا شيئاً وما رفعوا

صخراً ففرَّت من الزرعِ الشحاريرُ

وأنهم نشروا الأمراضَ في وطني

وما لديهم لأمراضٍ عقاقيرُ

خوفو أنا في عراقٍ من حضارتهِ

تساقط الخُبزُ واختيرت تنانيرُ

وفي بلادي شموسٌ لا أفولَ لها

وسوف يُرفعُ عن أقمارها الجورُ

لمثلِكمِ أيها الصُّناعُ كان على

شعوبِنا المشيُ ولتمضي النواقيرُ

لا رثاءٌ لغيرِ نخلك

في بلادٍ تُراقُ فيها الدّماءُ

كيف يبكي مَنْ حيل عنهُ البُكاءُ

كيف ينأى عن دارهِ وهو منها

تلك دارٌ تُحبُّها الأنبياءُ

ألفُ جُرْحٍ قد لا يُساوي سكوتاً

يتجلّى من بينهِ الكبرياءُ

إنّ دمعاً ما زلتُ أُبعِدُ عنهُ

في ضميري يشتدُّ فيهِ العناءُ

كلُ غيظٍ لو كان حجماً صغيراً

لَتَعَرّى برُكبتبهِ الشّقاءُ

كيف جاءوا ومَنْ أباحَ إليهم

أن يجيئوا هذا المجيئُ اعتداءُ

كُنْتَ صَرْحَاً فوق السمواتِ يُبنى

وربيعاً يغارُ منهُ الشّتاءُ

كُنْتَ موسى وفي عصاك استقاموا

وكعيسى لم يَخْتَرِقْكَ الرّياءُ

أيُّ حُسْنٍ في وجنتيك ونورٍ

وظهورٍ يُضيفُهُ الإرتقاءُ

صرتَ شيخاً إذا تمشّى وحيداً

يتطوّى بدى عليهِ انحناءُ

حملوهُ إلى النهاياتِ غَصْبَاً

وتشظّى بمُقلتيهِ القضاءُ

حسدوهُ أم أنهُ ليس أهْلاً

كي يُصلّي بحُجْرتيهِ الغناءُ

أنتَ ربُّ السّمَاءِ أين السّمَاءُ

عن علوٍّ وما سواكَ الفناءُ

يا عراقاً أسماءُ أرضِكَ حُسْنى

لكَ ذاتٌ تصوّرت ما تشاءُ

لا رثاءٌ لغيرِ نخلِك قطعاً

لا عليهِ ولا عليهم رِثَاءُ

كلُ آتٍ وهو الذي فَتَحَ البابَ

إليهم - في بغيهم شُرَكَاءُ

نحنُ قومٌ لم نسترحْ قبلُ يوماً

وإلى الآن في الضياعِ سواءُ

فتأكّد يا أيها الظُّلْمُ مهما

نلتَ حُكْمَاً للحُكْمِ حتماً هجاءُ

في بلادٍ تزيدُ فيها المنايا

سيعودُ الّذي إليهِ البداءُ

قيل حتماً أنّ النبوءاتِ قالت

عنهُ حُلْمَاً توقّعتهُ السّمَاءُ

قلتُ حقّاً ولن نلوذَ بحُلْمٍ

كلُ حُلْمٍ بلا عراقٍ غباءُ

تحت شمسٍ لنا أرادت ضياءً

بات سِرٌّ رقى بهِ الأقوياءُ

وضحايا حروبِنا سوف تأتى

ليُزالَ الغطاءُ والإنزواءُ

في بلادٍ لطالما ذاق غمّاً

وَلِغمٍّ يُذاقُ فيها انتقاءُ

جاء طيرٌ من الليالي يُنادي

لطيورِ الغرامِ فيك انتماءُ

فأعَرْنِي يا ذا الحمام المُزكّى

أيَّ شيءٍ فما لشوقٍ دواءُ

وتعبنا من الدُّعاءِ طويلاً

لم يَفِدْنَا مع السنين الدُّعاءُ

يا عراقَ الشيوخِ في حَضَرَاتِ

ليس كِذْبَاً فكُلُّهُم أولياءُ

كان فضلاً على الزمانِ تُقَاهُم

رُبّ فضلٍ رِجَالُهُ العُظماءُ

أين شيخي ذاك الذي لا يُجارى

لِيَ منهُ حقيقةٌ وانتماءُ

قد سقاني بكأسهِ خمرَ فتحٍ

وولاءً يوحي إليهِ البهاءُ

زرعَ الفجرَ في جميع الليالي

فتسامى على يديهِ الوفاءُ

من عليٍّ لهُ صفاةٌ كِبَارٌ

هكذا هُم شيوخُنا الأصفياءُ

في عراقِ العُلى يكونُ التعالي

في عُلاهُ تـهاطل الكُرَماءُ

وكفاهُ من الكِرامِ احتراماً

قد تجلّت بأرضهِ كربلاءُ

أيـها النخلُ سوف يبعثُ تَمْرَاً

في يدِ التّمْرِ شهوةٌ ونساءُ

فسلامٌ عليهِ في ألفِ عَصْرٍ

وقريباً سيشبعُ الفُقَرَاءُ

أملٌ مُعطّل

لو أنْتَ لم ترحلْ لأنكَ عَاطِلُ

ما فرّ عن حفظِ الكنوزِ السّاحِلُ

وعلى امتدادِ البحرِ يَصْدَحُ قارِبٌ

أعمى يُجَامِلُهُ الطّريقُ الحَافِلُ

فُقِدَتْ هُويتُهُ فأقبل سائلاً

عنها يكادُ يجفُّ هذا السّائِلُ

غنّى فقرّرَ صوتُهُ أن يستحي

مِنْ فعلهِ كي لا يَزِلّ الفَاضِلُ

ومشى فَصَادَفهُ الغُرابُ بِرِجْلهِ

خَبَرٌ إذا ما حيلَ فهوَ القَاحِلُ

بدأت مَعَارِكُهُ يُحاولُ خائفاً

أن لا يموتَ وما يزالُ يُحَاوِلُ

قِفْ يا ابنَ والدِنا تودُّ خطيئةً

أم لا تودُّ أنا النبيُّ العَاهِلُ

أبعد ذِرَاعَكَ لا تضعْ بطريقِنا

فَدَمٌ سيجري وانْحِرَافٌ بَاطِلُ

مُنذُ اختلفنا فالدّروبُ مَشَاعِلاً

كانت وأمّا الآنَ فهيَ قنابِلُ

للبابِ قَفْلٌ واحدٌ فتوزّعت

أبوابُنا فالقفلُ يومٌ فَاصِلُ

سُلِبَتْ مصابيحٌ نرى بضيائِها

مُسْتَقْبَلاً فيهِ الوجوهُ تَحَامُلُ

والبيتُ أعلى البيتِ أصبحَ

أولَ القتلى وحولَ البيتِ عقلٌ مَاحِلُ

أخذوهُ من هابيل إنّكَ يا أخي

قابيل في معنى انْعِطَافِكَ بَاسِلُ

فَرّقْتَ فَهْرَسَةَ الكتابِ ولم تَكُنْ

تدري بأنّ حُروفَهُ تتآكَلُ

كم نَرْفَعُ العَلَمَ الذي لم يَنْتَهِزْ

فُرصَ الحياةِ ولم تُعِنْهُ وسَائِلُ

الرّيحُ لَمْلَمْتْ البساطَ وسافرت

عنّا وغادرنا الإلهُ العَادِلُ

حتى ابتُلينا بالنّوازِلِ دائماً

فَهُنَا قراراتٌ هُنَاك تنازِلُ

وهنا كلامٌ نَسْتَلِذُّ بطعمهِ

يا ذا الكلامَ وليس يصحو الغَافِلُ

أنا كم سأبحثُ عن حكايةِ جَدّتي

في الليلِ عن بطلٍ يعودُ يُناضِلُ

هل سوف تُقْنِعُني بسردٍ ساقهُ

التاريخُ بعد رجوعهِ نتفاعَلُ

يا جَدّتي إنّ الرّوايةَ لم تَعُدْ

تُغْنِي هَوَايَ أنا انْحِسَارٌ هائِلُ

قد تشتهي الأُنثى لقاءَ عَشَيْقِها

وقد اشتهيتُ وما لقاءٌ حاصِلُ

إني أُفَتّشُ في النّهارِ فلا أرى

يا غُرْبَتِي جاء الظّلامُ الحَائِلُ

حتى القناديلُ الجميلةُ لم تَجِدْ

حَلّاً وفَرّطَ بالصّباحِ ، الزّاجِلُ

مالي سوى هذا القميصِ كما حَكَتْ

ليَ جَدّتي العمياءُ سوف أُمَاطِلُ

ومِنَ الأكاذيبِ التي صَدّقْتُها

النّايُ شيخٌ والرّياحُ قَبَائِلُ

أحلامُ ذاك الصّيفِ كانت حُلْوَةً

أخشى من الصّيفِ الجديدِ يُخَاتِلُ

دِينُ الحَمَامِ عليّ أن أحظى بهِ

دِينٌ بلا هذا الحَمَامِ عَرَاقِلُ

والحُبُّ في الوطنِ المُسَمّى في دمي

أنّ ابنَ هذي الأرضِ طفلٌ بَاذِلُ

الضّادُ تُرْضِعُني الحليبَ فأقتفي

أثرَ البياضِ فلا يخونُ العاقِلُ

عندي شُعُورٌ أنّ كابوساً جثى

أخْبِرْ بلالَ بأنّ جُرحكَ زَائِلُ

وبأنّ صاحبَك الذي ألقوا بهِ

في الجُبّ عن هذا التناقُضِ راحِلُ

أنا يا جميلَ الصوتِ عبدٌ لم أزلْ

تحت الصخورِ ورغمَ ذلك قَابِلُ

والمالُ لم يُدفعْ ولي حُرّيةٌ

يمضي عليها في البلادِ تكاسُلُ

المالُ قد سرقوهُ من يدِ أهلهِ

وتقاسمَ الكيسَ العفيفَ أرَاذِلُ

أنا نخلةٌ في أرضِ بابلَ دُمّرَت

بعد الوقوفِ تموتُ فيَّ فَسَائِلُ

ويدايَ مُتْعَبَتَانِ صرتُ أخَيْذَةً

حين انكسرتُ فكيف تَفْرَحُ بابِلُ

الشمسُ في وطني ولكن ثوبُها

الغَجَرِيُّ لم تُنقشْ عليهِ سنابِلُ

أملٌ تناقلت الخطوبُ حَدِيْثَهُ

ومساحةُ العَرَبِ الكرامِ تَضَاؤلُ

هم يصنعون السّيفَ أين مَرَاسِمُ

الثكناتِ خلف البابِ خَصْمٌ قافِلُ

وادمعتاهُ على زمانٍ لو لنا

قد عاد لَعْتَدَلَ الخطابُ المائِلُ

يتوكّأُ الخبرُ الجميلُ على عصا

الأحلامِ يحملُهُ انتظارٌ قاتِلُ

أرْجِعْهُ يا ابنَ السّندياِن فطارقُ

الأبوابِ عن معنى انتصارِكَ عازِلُ

إن كُنْتَ تنحتُ في الطريقِ حديقةً

فالجيلُ حتماً غِنْوةٌ وبلابِلُ

وارْسِمْهُ كالقمرِ التّمامِ فعينُ

ابراهيمَ يخطِفُها الشعورُ الطائِلُ

هذا المدارُ وحين غاب تأسّفت

كلماتُهُ فاحتجَّ حظٌّ ذابِلُ

لا تمشِ وحدَكَ فالنقوشُ جديدةٌ

إنَّ القديمَ هُوَ الفقيهُ الواصلُ

واجعل دموعَكَ فوق طاولةٍ يُرى

من فوقها خبرٌ سريعٌ عاجِلُ

مهما نسينا البحرَ تبقى دمعةُ

الغيماتِ تملؤهُ فمن سيُجادِلُ

احذر من الرُّمحِ الخؤونِ فسابقاً

قد ماتَ مطعوناً بغدرٍ وائِلُ

أحتاجُ

أحتاجُ ليلى التي كانت تُغَنّي لي

أحتاجُ أحزانَ أُمّي

في المواويلِ

أحتاجُ ما ضاعَ من عُمْري

فلستُ أنا

مَنْ أبعدَ الليلَ عن ضوءِ القناديلِ

بل كُنْتُ أحْمِلُ أحيانًا

مَصَاطِبَها

وحدي وأبْسِطُ مسرورًا

مداليلي

حتى ظننتُ بأنّي صِرْتُ في وطني

موسى ودمعي الذي

بَعْثَرْتُهُ نِيْلِي

وحين فُوجئتُ أن لا شيءَ

لي أبدًا

بهذهِ الأرضِ خَانَتْنِي

أكاليلي

وَكِدتُ أخرجُ عن طَوْرِي

وأشْتِمُهُم

فأعْرَضت عن تدابيري

أقاويلي

دَعْهُمْ فما تلكَ أخلاقُ الزكيّ ولا

طَبْعُ الدراويشِ أصحابِ

التهاليلِ

إذن أنا الآنَ أعلى

من قساوتِهم



معي وأرفعُ من سوءِ التفاصيلِ

وقاتلي سوف لن تُثني رصاصتُهُ

عزمي وأصبح فيما

بعدُ مَقْتُولي

أرادَ أبرهةُ التاريخِ

يهدمُني

لكنني كُنْتُ لا أخشى من الفيلِ

فلّاحُ فلسفتي مازال

يُمْسِكُ بي

وما تأخّرَ عن فرزِ المحاصيلِ

نفختُ في النّاي لم أُتْعِبْ

سوى شفتي

يا ربّ يَسّوعَ لا تقرأ أناجيلي

أتذكرُ الحَرْبَ واستنزافَ خُوْذَتِنَا

ولونَ أقدامِنَا فوقَ البساطيلِ

وكيف كُنّا

وأينَ اليومَ حالتُنَا

وما نُلاقيهِ من وئدِ الأباطيلِ

فأرسلِ الطّيرَ

إنّ البيتَ كَامْرَأةٍ

لم يكترثْ زوجُها يومًا بتقبيلِ

وكُلّمَا قيل يا قابيلُ أيُّ أخٍ

هذا الذي لم يفضْ

عَطْفًا لهابيلِ

يقولُ مَنْ لم يُدَافِعْ عن عقيدتهِ

دُعَاؤهُ عندَ رَبّيْ غيرُ مقبُولِ

وقال لي حكمةً - قابيلُ - بالغةً

طعمُ المنايا ولا طعمُ المناديلِ



السيرة الذاتية للشاعرهانى أبو مصطفى

شاعر النيل والفرات



هاني رضْيُو عبدالله
هاني أَبو مصطفى عراقي من البصرة
صدر لهُ خمسة دواوين شعرية ورواية
الأول أنا والجراح عام 2004
الثاني مزامير الحرية عام 2014

الثالث بوح العصافير عام 2018
الرابع رائحة المناديل عام 2018
الخامس بهذا أوصاني والدي عام 2018 عن دار النيل والفرات للنشر والتوزيع بعد فوزهِ بالمركز الأول في مسابقة لقب شاعر النيل والفرات الدورة الثالثة
رواية بودلير في جُبّة الحلاج
ترأس رابطة الزبير الثقافية من عام 2008 وحتى الآن
ترأس صالون الزبير الثقافي عام 2015
عمل في المسرح كتابةً وتمثيلاً
صحفي ومحرر
عضو نُخبة شعراء العرب
نُشرت لهُ مقالات وقصائد في صحف داخل وخارج العراق
تم تعيينهُ مسؤولاً لتنظيم المهرجانات الداخلية والخارجية في مؤسسة الوسن الثقافية 2018
حصل على بطاقة عضوية نُخبة الشعراء العرب
حصل على لقب النزاهة العراقية عام 2018 كشاعر وطني حسب تصريح وكالة خطوة عن رئيس الهيأة
مُنسّق المهرجان الدولي الأول في القاهرة للإبداع والفنون الذي أقامتهُ دار النيل والفرات في 20 / 12 / 2018 عن الطرف العراقي مع مدير الدار الأستاذ الشاعر ناجي عبد المنعم
صوفي المشرب

محتوى الكتاب